المحاضرة الثانية: حضارات الجزائر في ما قبل التاريخ.

أولا: مراحل العصور ما قبل التاريخ.

تُقسم عصور ما قبل التاريخ إلى ثلاث مراحل حجرية رئيسية، حيث اعتمد الإنسان بشكل أساسي على الحجارة في صناعة جميع أدواته واحتياجاته اليومية. هذه العصور الثلاثة، وهي: الحجري القديم، والحجري الأوسط، والحجري الحديث، تعكس التطور التدريجي للبشرية في الجزائر وشمال إفريقيا. فمن استخدام الحجارة بصورتها الأولية إلى إتقان صناعتها والبدء بالزراعة وتدجين الحيوان، شهدت هذه المراحل قفزات نوعية في نمط حياة الإنسان البدائي.

1. مراحل العصور الحجرية :

"في العصر الحجري كان يستعمل الحجارة في كل ما يحتاج من الادوات كالمقاطع و المدى و الفؤوس و الجفان و غيرها و ينقسم هذا العصر الى ثلاثة اقسام حسب **مبارك الميلي** :

1.1. عصر الحجارة القديم :

الذي كان فيه الانسان اشبه بالوحوش ، حديث عهد بالطبيعة ، جاهلا بطرق الانتفاع بها ، سادلا عليه جلود الحيوانات متدفئا باهابها، يسكن الجبال و الكهوف و المغارات و يأكل كل ما تنبته الارض عفوا و ما عليها من خشاش و حيوانات و حشرات و هو في كل ذلك يستعمل الحجارة .

2.1. عصر الحجارة الاوسط :

و فيه تقدم النوع البشري الى غير الحجارة ايضا، فاخذ يستخدم عظام الحيوانات من نوع الوعول و الطيور و الفيلة ، و الكر كدن و بيض النعام ، فاتخذ منها الاوعية و الابر و السكاكين ، و المساحي و هذبت فيه الادوات الحجرية نوعا ما ، و انتقلت السكنى من المغارات الى الأكواخ المستديرة و المربعة، و عني الانسان في هذا الدور بالمدافن فكانت القبور فيه على شكل الهرم مبنية بالحجارة .

3.1. عصر الحجارة الحديث.

اتقن فيه الانسان صناعة الحجارة فاتخذ منها الارحاء الطحن ، و ادوات النقش و صنع السهام ، و رسم عليها بالحجارة المحددة الرسوم العجيبة الشكل، و في هذا لعصر اخترعت الكتابة الهيروغليفية ، اي التصويرية و فيه عرف الانسان الحياكة ة النسج و ايقاد النار و صنع الاواني الطينية للطبخ و اتخذ الاوعية من الخشب و الحلي و الاصداف و المحاور و انياب الخنزير و الحصى المثقوب و غطى راسه بالريش" .(عبد الرحمن الجيلالي :1965، 42.43).

ثانيا : أهم الحضارات التي مرت على الجز ائر.

عرفت منطقة الجزائر وشمال إفريقيا عدة **حضارات ومدنيات حجرية** عريقة. تعكس هذه الحضارات قدم التواجد البشري في المنطقة، وخاصة خلال العصر الحجري القديم. تشمل أهم هذه الحضارات المكتشفة **الحضارة الأشولية**، **والموستيرية**، **والقفصية**، إضافة إلى الحضارة العاترية. كل حضارة تميزت بتقنيات صناعية وأدوات حجرية متطورة ومواقع أثرية مختلفة، مما يدل على التراكم الحضاري في المنطقة المغاربية.

1.الحضارة الاشولية.

سميت بالحضارة الاشولية (الاشيلية) نسبة الى سنت اشيل ST ACHEULبالقرب من اميان ، Amiens في شمال فرنسا و نسبت باقي الحضارات في ارجاء العالم و التي تشابه في مظاهرها و مميزاتها الحضارة الاشولية باسم هذه الحضارة .

تمتاز طريقة الصناعة الاشولية بأشياء كثيرة حيث نجد الصانع الاشولي يأخذ النواة و يهذبها من جميع جهاتها حتى يجعل شكلها متناسقا ، كما ان الانسان الاشولي اخذ يهذب الحافات لكي يجعلها حادة منتظمة .

هذه الحافات الحادة لم تجعل من الضروري ان يكون حجم قطعة الصوان او وزنها كبيرا و هذا يعني ان حجم الالة الصوانية كان يقل كلما زاد اتقان صنعها و بذلك سهل حمل عدد كبير منها ، و ما يميز هذه الآلات ان حوافها مستقيمة و ان جوانبها محدبة او مقعرة ، هذا الاتقان في العمل لا يلاحظ لأول وهلة و يبدو انه قليل الاهمية و مع ذلك فهو يحتاج الى وقت اكثر و عمل مستمر متقن مما يدلنا على مدى سيطرته على الالة التي يصنعها . **(محمد رشيد الفيل : 1965، 82.81).**

2.الحضارة الموستيرية .

استمدت الحضارة الموستيرية اسمها من موقع موستير (بالدردون بفرنسا) و هي معروفة جدا في اوروبا ، ، لقد سمحت دراسة العديد من مواقعها بتمييز سماتها و انواعها ، و معرفة الانسان الذي شيدها انه انسان نياندرتال. و المواقع المنسوبة اليها بالجزائر تشمل موقع تحت الكهوف في الرطمايمية و راس تنس و حي مالكي بالجزائر العاصمة (الجزائر) .

في حالتي راس تنس و كيفان بالغمري الادوات الموستيرية القليلة تقع مباشرة تحت البقايا الايبروموريسية و يبقى اهم منجم بالجزائر بالرطايمية خالص للصناعة الموستيرية

فقط و هي تشبه مثيلاتها بالقطار حيث بها علامات ليفالوازية ، و ليفالوازية نموذجية و شارونتيية .

و في المناطق الصحراوية يعثر احيانا على صناعة ليفالوازية او ليفالوازية موستيرية مثلما هو الحال في محطة ايسلسكين بالهقار التي اكتشفه هنري .لوت سنة 1943 احتوت على بيافاسات اشولية و اقراص بجوارها العديد من المسننات الموستيرية و الكاشطات و الشفرات الموستيرية .**(محمد رشدي جر اية : 277.2013).**

ويمكن تصنيف الصناعة الموستيرية بناءا على تقنيات انجازها كما يلي:

أ. الموستيرية ذات التقاليد الاشولية : ومن اهم ادوات هذه المرحلة : استمرار وجود الفؤوس اليدوية و خاصة القلبية الشكل . و قطع ذات الظهر المنحني و كذلك ارتفاع نسب الرؤوس ذات الظهر و المحكات و النصال و انخفاض نسبتي الفؤوس و المكاشط في مرحلته التطورية .

ب:الموستيرية النموذجية : يتميز الوجه الموستيري النموذجي بميزتين : الاولى فيها طرق لوفالوزي و الثانية بدونه ، وتشكل الادوات الموستيرية الكلاسيكية :الحراب و المقاحف ذات النسب المختلفة اهم ادواتها ، بينما تقل الادوات المسننة و لا توجد فيها لا فؤوس و لا سكاكين مظهرة ، كم عرفت تغيرا في نسبة المكاشط، نجد كذلك الموستيرية ذات المسننات و الموستيرية الشارنتية . **(19،20 سليم سعيدي: 2021) .**

3.الحضارة القفصية.

نتشر البقايا الإنسانية والأثرية العائدة للمجموعة القفصية بشكل واسع في بلاد المغرب، وخاصة في مواقع بين **سطيف، وقسنطينة، وتبسة** .سُميت هذه الحضارة نسبة إلى منطقة قفصة في تونس. أغلب المواقع القفصية هي عبارة عن **"رماديات"**، وقد كشفت عن بقايا تعود غالبًا إلى **القفصي الأعلى** .من أهم مواقعها في الجزائر نذكر **مشتى العربي، وسانت دونات، ومجاز(سانت أرنو(**، حيث قدمت هذه المواقع هياكل عظمية وبقايا بشرية وأدوات حجرية مميزة.

تتوزع البقايا الإنسانية العائدة إلى **المجموعة القفصية** التي تعود غالبًا إلى **القفصي الأعلى** (على عدة مواقع رئيسية في بلاد المغرب، أغلبها **رماديات** تقع بين سطيف وقسنطينة وتبسة .من أبرز هذه المواقع **سانت دونات** و **مشتى العربي**، حيث كانت البقايا في سانت دونات في حالة رديئة ومجزأة، بينما عُثر في مشتى العربي على بقايا أكثر من **30شخصًا.**

.أما موقع **مجاز(سانت أرنو)** فقد قدم هيكلاً عظميًا كاملاً لشخص ذكر لا ينتمي إلى نوع **مشتى العربي**، وتميز الموقع بأدواته الحجرية التي تعود للقفصي الأعلى .كما تضمنت مواقع **فايد الصوار**، الذي كشف عن بقايا أنثى تنتمي إلى **النوع المتوسطي شبه المتوسطي** ، وموقع **أعيون بريش** الذي احتوى على 13 هيكلاً عظميًا بعضها متأخر .كما أظهرت مواقع مثل **تبسة كلم 3200** و **خنقة الموحد** تنوعًا في الانتماء، حيث وُجدت بقايا لا تنتمي إلى نوع مشتى العربي، وبعضها وُصف بالمتوسطي أو المتأخر مع علامات نزع القواطع .معظم هذه البقايا محفوظة حاليًا في **مركز البحث (CNRPAH)** أو **متحف الباردو.(33،37 أوزاني فريدة :محاضرة).**

تحتوي الصناعة القفصية شفرات الظهر المنطرح ، و نصالا ذات الظهر المنطرح كذلك و أزميلات حادة ، وشفرات الحز و حجريات دقيقة اكثر تنوعا و اكثر وفرة و عثر على لؤلؤات من اصداف بيض النعام و ادوات عظام مصقولة ، كما تتميز الحضارة القفصية بأدوات ذات شكل هندسي ، وقد نسب تاريخ هذه الادوات ، في ناحية تبسة الى نهاية الالف السادس ، لا يمكن مقارنة عرق القفصي

بعرق الايبرومغربي، فهو ينتسب الى الذين سبقوا المتوسطين ذوي الصفات الزنجية ، مارس الناس قلع الاسنان و استخدموا العظميات البشرية احيانا.(محفوظ قداش:14،1993).

4.الحضارة العاترية.

(العاترية هي صناعة مغربية تبرز مظهرا موستيريا ،ياتي تحضير النوى في عقب شظايا غالبا ما تكون ذات وجوه والى جانب المخارز الموستيرية التنموذجية و العديد من الشفرات و المكاشط و بعض المحكات توجد بوجوه في العقب على الدوام تقريلا، لقد بقيت العاترية وقتا هاما جدا لاجل ان يكون الشيء المذنب الذي يميزها نادرا في اول الامر ووفيرا جدا بعد ذلك امتدت العاترية ثاقفة المغرب النموذجية الى غاية موريطانيا و منعطف النيجر.)(محفوظ قداش:14،1993).

(الحضارة العاترية نسبة لموقع سيدي بلعاتر بتبسة و هي تنتمي الى العصر الحجري القديم الاوسط ، و هي معاصرة للحضارة الموستيرية الاوروبية و ليست امتدادا لها ، اذ ان الادوات الحجرية العاترية امتازت برؤوس السهام ذات العنق (الساق).(149يحي بوعزيز: 2011).

5.الحضارة الايبيرو مغربية.

عرفت الجزائر قيام الحضارة 'الوهرانية ' و المعروفة ب ' الابيرومغربية' و اطلق عليها هذا الاسم اعتقادا ان هناك صلة بينهما و بين حضارات شبه جزيرة ايبيريا باسبانيا و هي تعود الى حوالي 22الف سنة قبل الميلاد و اكتشف اولى صناعاتها عام 1909 بموقع مويلح ، ولم تقتصر على الصناعات الحجرية فحسب بل شملت صناعة عظمية و كذا بعض الادوات التي يحتمل بانها تستعمل للزينة ، و اما مناطق انتشارها فقد امتدت من سواحل الاطلسي غربا الى برقة بليبيا شرقا ما عدا السواحل الشرقية لتونس، و نذكر من اهم مواقعها بالجزائر موقع مويلح و بعض المناطق الداخلية مثل كالمناطة بتيارت و الهامل قرب بوسعادة. (الطيب قديم : 39،2024).

تم التعرف على نماذج من مخلفات الايبيرو مغربية لأول مرة في موقع قرب لاله مغنية بالجزائر ، و بالتحديد في مخابئ المويلح ، و من بين مواقعها الهامة ايضا في الجزائر نذكر كلومناطة(قرب تيارت) ، و مغارات تمارهات و افالو بورمل (في عمق خليج بجاية) ، ومغارة راسل بشنوة.

5.أدواتهم.

ادواتها ادوات حجرية منحوتة من النصال المستخرجة من نوى الصوان الصغيرة التي يعد نحتها ابسط مما كان عليه الامر في العصر الحجري الاوسط ، كان الصناع يكتفون بإزالة احدى نهايتي الحصاة او كليهما كي يحصلوا على سطح مستو يسمى مستوى الطرق و هو الذي يسهل قطع النصال .

واستخدم صناع الحضارة الايبرو مغربية ايضا الشفرات و الشظايا ، و لكن بكميات أقل، واستخدموا ايضا أدوات من العظم المصقول.

(ك.ابراهيمي، 56،57 ، 2007).